Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٧ - حوار التماهى
بين طه حسين والمعرى والمتنبى

١ - ١ يعد الحوار أقصى درجات التكيف التى يبلغها الخطاب كى يستجيب لشروط التلقى ، ويفتح ثغرات التواصل فى أبنية الوعى والفكر ، فاذا دار بين كبار الأدباء فهو حوار أدبى ، أى فى صميم الشعرية . لكن عندما تمثل أطرافه ذرى الفكر الشعرى والأدبى فى عصرين متباعدين ، يفصل بينهما أكثر من ألف عام ، فان الحوار يكتسب حينئذ خصوصية فريدة ، لأنه يكشف عن هذا العقل العربى إبان تكونه من جانب ، وعبر انبعاثه لمواجهة متغيرات الحضارة والتاريخ الإنسانى من جانب آخر . ويصبح اختباراً للعناصر الصالحة للبقاء فى هذه الشعرية ، مع إدراجها فى أبنية جديدة تتسق مع منظومات الفكر والعلم والفنون المحدثة . وكما يقول « تودوروف » فان «كل فهم هو التقاء بين خطابين ؛ أى حوار . ومن العبث أن يكف المرء عن أن يكون ذاته ليصبح الآخر . وحتى إن هو تمكن من ذلك فان النتيجة ستكون عديمة الفائدة ، لأن هذا سيصبح مجرد إعادة إنتاج للخطاب الأول »[١] . وتأسيسا على ذلك فان فهم المعرى للمتنبى ، كما تجلى خاصة فى شرحه المنشور مؤخرا لديوانه بعنوان « معجز أحمد »[٢] حوار معه ، وفهم طه حسين لكليهما بلورة معاصرة لأبرز أضلاع هذا الحوار الثلاثى الشيق .

وطبقا لباختين فان « تفكير كل فرد وعالمه الداخلى ينعمان بسماع مجتمعى خاص ووطيد ، تتكون فى مناخه استنباطات الفرد الداخلية وحوافزه وتقديراته .. وكلما كان هذا الفرد أكثر تناقضاً كلما اقترب هذا السماع من السماع المتوسط للإبداع الأيديولوجى . إلا أن المخاطب المثالى لا يستطيع غالباً أن يتجاوز حدود طبقة وعصر معينين »[٣] . غير أن الأمر يختلف عن ذلك عند كبار المبدعين فى الفكر والثقافة ، فهم يتميزون بقدرتهم على اختراق هذا المستوى من السماع المتوسط المتعدد عبر طبقات وعصور مختلفة ، وليس من الضرورى أن يكون مخاطبهم مثالياً ؛ أى متطابقا مع شروط المرسل ، بل إنه عن طريق التخالف فى الوعى والإدراك تبرز فوارق المجتمعات ومتغيرات العصور . فاذا كان هذا المستمع على درجة مكافئة للمرسل أصبح حوارهما حواراً بين الأجيال والثقافات . ومما